

الفصل السادس

الاعلام العربى الدولى

هل للعرب اعلام دولى ؟

قد يبدو السؤال غريبا للبعض ، خاصة أن هناك العديد من الجرائد اليومية العربية التي تطلق عليه نفسها « جريدة العرب الدولية » ، ويوجد ضعفها من المجلات العربية التي تُزيل اسمها بلقب « مجلة العرب الدولية » ، ولكل دولة عربية ، وكالة انباء ، لها مكاتب ومراسلون في العديد من عواصم العالم ، ويفترض ان ترسل وتستقبل مئات الأخبار العربية والدولية يوميا ، كما ان هناك العشرات من الاذاعات العربية الموجهة الى كافة انحاء العالم ، وبعضها يذيع بأكثر من ستة وثلاثين لغة !

وللعرب ايضا قمر للاتصالات ، اطلقوا عليه اسم « عربسات » ، وهو قادر على بث البرامج التلفزيونية العربية داخل العالم العربى وخارجه .

ورغم ذلك كله ، فلست متجاوزا للحقيقة عندما اقول ، انه لا يوجد اعلام عربى دولى !

الصحافة العربية الدولية

يمكن ان نميز بين خمس مجموعات من الصحف العربية التي تدعى لنفسها صفة «الدولية» ، وهي :

المجموعة الأولى : وهي صحف « الجاليات العربية » في الخارج ، وهي تصدر باللغة العربية وتوزع بصفة أساسية على ابناء الجالية العربية في البلد الذي تصدر فيه ، وهذه الصحف تنتشر أساسا في أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا .

ومن النادر ان تسعى هذه الصحف إلى التوزيع خارج حدود البلد الذي تصدر فيه ، كما أن صدورها في بلدان بعيدة عن العالم العربي حال بينها وبين التفكير في التوزيع داخل الوطن العربي ، لذلك فإن اهتمام هذه الصحف يكاد أن ينحصر في تغطية نشاطات ابناء الجالية العربية في البلد الذي تصدر فيه ، بالإضافة الى نشر اخبار متفرقة عن العالم العربي .

المجموعة الثانية : الصحف العربية المهاجرة ، وهي تلك الصحف التي اضطرت الى الهجرة من الوطن العربي أو تلك التي اصدرها صحفيون مهاجرون من الوطن العربي ، وذلك بسبب افتقاد هذه الصحف واولئك الصحفيون لحرية التعبير داخل اقطارهم العربية ، واكثر هذه الصحف يصدر من لندن وباريس وبعض العواصم الأوروبية الأخرى .

وظاهرة هجرة الصحافة العربية ، ظاهرة قديمة ، عرضتها الصحافة العربية في فترة مبكرة من تاريخها ، فقد نشأت الصحافة في عام ١٨٢٨م عندما صدرت جريدة «الوقائع المصرية» ، في حين ان أول صحيفة عربية مهاجرة ، ظهرت في عام ١٨٥٨م ، عندما أصدر رزق الله حسونه الحلبي صحيفة «مرآة الاحوال» في الاستانة^(١) ، عاصمة الدولة العثمانية ، أي بعد سبعة وعشرين عاما فقط من نشأة الصحافة العربية !

أما اغلب الصحف العربية المهاجرة في الفترة الحاضرة ، فإن هجرتها تعود الى نشوب الحرب الأهلية اللبنانية في عام ١٩٧٥م والتي مازالت بقاياها قائمة حتى الآن ، وكانت لبنان قد شهدت منذ نهاية الخمسينيات وحتى منتصف السبعينيات ، نهضة صحفية بسبب وجود قدر كبير من الحريات الصحفية ، وقد مكنت هذه الحريات الصحافة اللبنانية من أن تكون ساحة للحوار بين القوى والمنظمات والأنظمة العربية ، حيث اتيح لها التعبير عن افكارها وسياساتها ، بل وعن تناقضاتها ايضا ، وقد تم ذلك في وقت لم يكن هناك في الوطن العربي كله مكان غير لبنان قادر على أداء هذا الدور ، وقد حمى هذا الدور العالم العربي من ان تتحول صراعاته الفكرية والايديولوجية والسياسية الى عنف وصراع مسلح ، لذلك فإنه حين اجبرت الصحافة اللبنانية على التوقف عن أداء هذا الدور ، سواء بفرض الرقابة المسبقة أو بتفجيرها بشحنات الديناميت أو احتلال مكاتبها ومطابعها بالقوة المسلحة ، توقف الحوار الفكري والايديولوجي والسياسي على صفحات الصحف ، وانطلق العنف المسلح في الشوارع بالرصاص والقنابل ولم يتوقف حتى اليوم .

وبغياب حرية الصحافة في لبنان اضطر عدد كبير من الصحف اللبنانية ان يتوقف عن الصدور ، في حين بدأ عدد آخر من الصحف يشرع في الهجرة من لبنان ، ولم يقتصر الأمر على الصحف والصحفيين اللبنانيين وحدهم ، وإنما هاجر معهم ايضا العديد من الصحف والصحفيين العرب الذين سبق أن لجأوا الى لبنان هربا من افتقاد الحريات الصحفية في اقطارهم ! وهكذا فقد أدت الحرب الأهلية اللبنانية الى هجرة صحفية لبنانية وعربية الى خارج الوطن العربي^(٢) .

ومن أبرز الصحف اللبنانية المهاجرة مجلتي الدستور^(٣) والحوادث^(٤) ، وجريدة « الحياة »^(٥) ، كذلك فقد اصدر عدد من الصحفيين اللبنانيين

المهاجرين صحفا عربية جديدة في المهجر، ومن ابرزها مجلات :
« الوطن العربي »^(٦) ، و« المستقبل »^(٧) ، و« كل العرب »^(٨) ،
و« التضامن »^(٩) ، و« الدولية »^(١٠) . ولم تقتصر الهجرة كما سبق وذكرنا
على الصحفيين اللبنانيين ، وإنما شملت ايضا اعدادا متزايدة من
الصحفيين الذين ينتمون الى اقطار عربية اخرى ، فأصدر الصحفي
السوري عبدالوهاب فتال جريدة « الشرق الجديد »^(١١) واصدر السياسي
السوري رفعت الاسد مجلة « الفرسان »^(١٢) واصدر الصحفي المصري
محمود السعدني مجلة « ٢٣ يوليو »^(١٣) ، كما تم إعادة اصدار مجلة
« الدعوة » لسان حال الاخوان المسلمين بمصر في النمسا^(١٤) .

وعندما تحول الفلسطينيون الى طرف رئيسي في الصراع العربي -
العربي ، واجهت الصحف الفلسطينية التي تصدر في بعض الاقطار
العربية العديد من الصعوبات والقيود ، ووجدت حالات كثيرة تم فيها
اغلاق الصحف الفلسطينية في الأردن وسوريا وليبيا ولبنان ، لذلك
اختلفت الصحافة الفلسطينية أن تصدر خارج الوطن العربي حتى
لا تكون رهينة لأي نظام عربي يمنحها حق التعبير وقتما يشاء ويمنع عنها
هذا الحق وقتما يشاء أيضا ، حسب درجة تأييد الفلسطينيين لتوجهات
هذا النظام وسياساته ، لذلك غلب على هجرة الصحافة الفلسطينية ،
طابع الهجرة الخارجية ، بحيث أصبحت غالبية الصحف الفلسطينية
المهاجرة ، تصدر خارج الوطن العربي حيث تركز معظمها في قبرص ،
ووجد بعضها في لندن وباريس ، ومن ابرز الصحف الفلسطينية
المهاجرة ، جريدة « القدس » اليومية التي تصدر في لندن ، ومجلة « اليوم
السابع » التي تصدر في باريس .

ويلاحظ ان أغلب الصحف العربية المهاجرة ، تصدر وعينها على
الوطن العربي وقضاياها ومشكلاته ، لذلك فإن اغلب مادتها الصحفية
تتناول شئون العالم العربي ، كما ان توزيعها يتم معظمه داخل الاقطار

العربية ، ويلاحظ ان توزيع هذه الصحف في العالم العربي ، يرتبط بدرجة كبيرة على طبيعة علاقاتها بالانظمة العربية . حيث يسمح بتوزيع هذه الصحف ، أو منع توزيعها في بلد عربي معين ، حسب المدى الذي تذهب إليه هذه الصحف في تأييد أو معارضة سياسات هذا البلد وتوجهاته ، وبسبب الخلافات بين الانظمة العربية ، اتيح للصحف العربية المهاجرة ان تلعب دورا هاما في السياسة العربية ، حيث تحولت بعض هذه الصحف الى أداة للدفاع عن سياسات بعض الأنظمة العربية ، وسلاح اعلامي تستخدمه تلك الانظمة في معاركها السياسية مع غيرها من الأنظمة العربية المخالفة لها . وهكذا أصبحت الصحف العربية المهاجرة أسيرة لنفس النظم التي هاجرت هربا من سطوتها !

المجموعة الثالثة : وهي تضم ما سمي « الطبعات الدولية » لعدد من الصحف العربية المحلية ، مثال ذلك « الاهرام الدولي » و« القبس الدولي » و« النهار الدولي » ، وهذه الطبعات الخاصة من الصحف العربية موجهة بالأساس الى القراء العرب في خارج الوطن العربي وإن كان بعضها يوزع في بعض الاقطار العربية ، بل ان توزيع البعض منها داخل الوطن العربي يفوق كثيرا ما يوزع منه خارج الوطن العربي .

ويغلب على المادة الصحفية التي تقدمها هذه الطبعات الخاصة من الصحف العربية ، الاهتمام بالشئون المحلية للبلد الذي تصدر منه هذه الصحيفة ، أو ما يسمى بأخبار الوطن الأم ، ثم يلي ذلك الاهتمام بالشئون العربية العامة ، ثم الشئون الدولية ، وهكذا فإن الشئون الدولية تحتل المكانة الأخيرة في اهتمامات تلك الصحف « الدولية » .

المجموعة الرابعة : وهي تضم الصحف التي اصدرها صحفيون عرب ، بتشجيع من حكوماتهم أو بعدم معارضة منها ، في بعض العواصم الأوربية ، وذلك للاستفادة من الامكانيات الصحفية المتطورة في

الغرب ، أوللتحايل على بعض القوانين الصحفية المحلية التي تمنع الملكية الفردية في الصحافة أو التي تحول دون انشاء صحف جديدة ، وبعض هذه الصحف ، سعت الى اصدارها في خارج الوطن العربي انظمة عربية ظنا منها ان مجرد صدورها في الخارج يعطيها طابع الحياد والموضوعية ، ومن ثم يجعلها وسيلة اعلام غير مباشرة عن سياسات هذه الانظمة ومواقفها .

ويندرج في هذا اللون من الصحف مجلة « الطليعة العربية » ، ومجلة « المجالس العربية » و« مجلة الموقف العربي » وجريدة « الشرق الاوسط » ومجلتي « المجلة » و« سيدق » وجريدة « المسلمون » .

المجموعة الخامسة : وهي تضم الصحف التي تصدر بلغات اجنبية في بعض الدول العربية ، وتوزع بين الاجانب الذين يعيشون أو يعملون في هذه الدول بالاضافة الى اعداد قليلة من المواطنين العرب الذين يجيدون اللغات الاجنبية التي تصدر بها تلك الصحف ، ولا تخلو دولة عربية من صحيفة أو اكثر تصدر بلغة اجنبية ، وهي ظاهرة تاريخية بدأت منذ العصر الاستعماري ، حيث حرصت الدول الاستعمارية على اصدار صحف محلية في الدول التي تحتلها بلغة الدولة المستعمرة لخدمة جنود الاحتلال والجاليات الاجنبية ، واكبر دليل على ذلك ان الصحافة نشأت في الوطن العربي اجنبية ، وكانت أولى الصحف التي عرفها العالم العربي ، هما صحيفتي : بريد مصر *Le Courrière de L'Egypte* التي صدرت بالقاهرة في ٢٩ أغسطس ١٧٩٨م ، و« العشرية المصرية » *La Deca de Egyptienne* والتي صدرت في أول اكتوبر ١٧٩٨م ، وكان ذلك وقت الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١م) .

ولنحاول الآن ان نطبق شروط ومواصفات الصحيفة الدولية على الصحف العربية التي تضمنها المجموعات الصحفية الخمس السابقة

وقد سبق أن حددنا التعريف العلمى للصحيفة الدولية حيث يرتبط الطابع الدولى لصحيفة ما وبين انتشارها عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول أو الأمم ، وقوة تأثيرها خارج الحدود الوطنية والقومية والنابعة من عمق المضمون وتنوعه واصدارها بلغة تسمح لها بالانتشار على النطاق العالمى أو اصدار طبعات منها بلغات متعددة ، وبذلك لا بد من توافر ثلاثة شروط فى الصحيفة الدولية . الأول : انتشار توزيعها عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول . والثانى : قوة التأثير خارج الحدود الوطنية والقومية وهى قوة نابعة من عمق المضمون وتنوعه . والثالث : الصدور بلغة تسمح بالانتشار على النطاق العالمى أو اصدار طبعات بلغات متعددة تسمح للصحيفة بالوصول الى قراء خارج نطاق حدودها الوطنية أو القومية .

ومن المهم ان نؤكد على ضرورة توافر الشروط الثلاثة مجتمعة فى الصحيفة الدولية ، بحيث اذا افتقدت الصحيفة أحد الشروط ، فقدت طابعها الدولى .

ويتطبيق الشروط الثلاثة على الصحف العربية التى تدعى لنفسها صفة الدولية ، نواجه بالحقائق التالية :

أولاً : ان صحف الجاليات العربية فى المهجر ، ينحصر توزيعها داخل نطاق الدولة الاجنبية التى تصدر فيها ، ولا يقرأها سوى ابناء الجالية العربية بها ، وغالبا فإن مادتها الصحفية مقصورة على تلبية اهتمامات ابناء الجالية بشئونهم المحلية وبيعض ابناء الوطن العربى أو الدولة الأم لابناء الجالية ، لذلك فإن هذه الصحف تفتقد لكافة شروط الصحيفة الدولية .

ثانياً : أن الصحف التى تنتمى الى المجموعات الثانية والثالثة والرابعة ، فهى جميعها تصدر باللغة العربية ، وانتشارها مقصور على

القراء العرب ، وتأثيرها محدود على قطر عربي بعينه ، وقد يمتد هذا التأثير الى اقطار عربية أخرى ، ولكنها في كافة الحالات عديمة التأثير على القراء غير العرب في الدول الاجنبية التي توزع فيها لأنهم بالطبع لا يقرأونها ، اذ لا تستطيع أى من هذه الصحف أن تدعى ان لها قراء يعتد بهم من ابناء الشعوب الأوربية أو الامريكية ، أو بين الشعوب غير العربية في آسيا أو افريقيا . !

ولذلك فهي تفتقد جميعها للشروط الواجب توافرها في الصحيفة الدولية .

ثالثا : أما المجموعة الخامسة والأخيرة ، وهي الصحف التي تصدر بلغات اجنبية في بعض الاقطار العربية ، فهي أشبه بصحف المجموعة الأولى ، صحف الجاليات ، فتوزيعها محدود على ابناء الجاليات الاجنبية المقيمة أو الزائرة للبلد العربي الذي تصدر فيه ، ورغم ان بعضها قد يصدر بلغات دولية مثل الانجليزية أو الفرنسية إلا أن توزيعها غير دولي وكذلك تأثيرها ، وبذلك فهي تفتقد لشروط الصحيفة الدولية .

ونخلص من ذلك بأن العالم العربي يفتقد الصحافة العربية الدولية ، التي تصدر في العالم العربي وتنتشر بين كافة شعوب العالم ، وهو أمر يعود بالدرجة الأولى الى كون اللغة العربية ليست لغة دولية كاللغة الانجليزية أو الفرنسية ، وأن هذا يرجع الى أسباب تاريخية وحضارية وسياسية ، ورغم تزايد نفوذ اللغة العربية في ربع القرن الأخير واعتراف الكثير من المنظمات الدولية بها ، إلا أنها مازالت في مجامع وسائل الاعلام ، لغة غير دولية ، لا يقرأ بها سوى العرب واقلية نادرة من المستشرقين أو الدارسين أو المهتمين بالشئون العربية ، وهي قلة لا تشكل بأى حال جمهورا يعتد به في مجال الصحافة الدولية .

واعتقد ان الطريق المتاح الآن لايجاد صحافة عربية دولية ، ان تعمل

الصحف العربية الكبرى والتي تتمتع بنفوذ واسع في الوطن العربي ، أن تصدر طبعات باللغة الانجليزية أو الفرنسية ، ولكن هذا في حد ذاته لا يكفي لأن تكتسب هذه الطبعات الانجليزية أو الفرنسية صفة « الصحافة الدولية » إلا اذا نجحت هذه الصحف في تقديم خدمة صحفية قادرة على جذب القارئ غير العربي خارج حدود الوطن العربي ، وان تكون لهذه الصحف قدرة على التأثير تتخطى الحدود المحلية ، عبر الآفاق الواسعة في المجتمع الدولي .

وكالات الانباء العربية

يكاد يكون لكل دولة عربية ، وكالة انباء خاصة بها ، إذ يوجد بالعالم العربي ١٩ وكالة انباء عربية ، يقتصر نشاط اكثرها داخل الدولة التي تنتمي اليها ، وقد يمتد نشاط بعضها الى المنطقة العربية ، أما العدد القليل منها فهو الذي له نشاط في بعض العواصم العالمية ، وخاصة في الدول الغربية . وقد انشئت غالبية وكالات الانباء العربية في الفترة التي تمتد ما بين الخمسينيات والسبعينيات ، فقد تم انشاء وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية في عام ١٩٥٦ ، وتم انشاء وكالة الانباء المغربية ووكالة الانباء العراقية في عام ١٩٥٩م ، وفي عام ١٩٦١م تم انشاء وكالات انباء لبنان والجزائر وتونس ، وانشئت وكالة الانباء الليبية في عام ١٩٦٤ ، أما وكالة الانباء السورية ووكالة الانباء الأردنية فقد انشئت في عام ١٩٦٥م ، وانشئت وكالة انباء عدن في عام ١٩٦٨ ، واليمن الشمالي في عام ١٩٦٩م ، أما وكالة الانباء السعودية ووكالة الانباء السودانية فقد اقيمتا في عام ١٩٧٠م ، وفي عام ١٩٧٥ أعلن عن قيام وكالة انباء قطر وموريتانيا وعمان ، وفي عام ١٩٧٦ تم انشاء وكالة انباء الامارات العربية المتحدة ، والبحرين والكويت ، وبإستثناء عدد قليل من الوكالات العربية ، فإن اغلبها اقرب ما يكون الى المكاتب الاعلامية التابعة لوزارات الاعلام مباشرة ، والعنصر البشري والامكانيات المادية في الكثير منها لا يسمح حتى بتكوين شبكة متكاملة من المكاتب المحلية ، وبعضها لا يزيد ما ينتجه يوميا على عشر نشرات مثل وكالة انباء موريتانيا ، وقد لا يزيد عدد العاملين في بعض هذه الوكالات على ثلاثين محررا وصحفيًا ومندوبًا ، وهو الأمر الذي يدفع مثل هذه الوكالات الى الاعتماد على خدمات وكالات الانباء العالمية ، ليس فقط فيما يتعلق بالانباء الدولية

والعربية ، بل وأيضا بالانباء المحلية ذاتها ، فليس من الغريب ان تنقل بعض الوكالات العربية عن الوكالات الاجنبية احداثا تجرى في محيطها الجغرافي والثقافي والوطني^(١٥) .

ان مجموع ميزانية وكالات الانباء العربية يقدر بنحو ٧٠ مليون دولار ، و يبلغ عدد مراسليها في الخارج ١٠٦ مراسلين وعدد الصحفيين المحليين فيها يبلغ ٨٠٠ محرر ومندوب^(١٦) ، وهذه الارقام تتضاءل كثيرا امام امكانيات أية وكالة انباء عالمية واحدة !

ومن الأمور التي تعوق النشاط الدولي بل والأقليمي والمحلي للعديد من وكالات الانباء العربية ، الارتباط الوثيق بين هذه الوكالات والسلطة السياسية في بلادها ، حيث تخضع معظم الوكالات العربية للسيطرة الحكومية المباشرة . وعلى سبيل المثال فقد ظلت وكالة الانباء السودانية فترة طويلة من الوقت تابعة مباشرة لرئيس الجمهورية ، الذي قال في زيارة له لمقر الوكالة « نحن وسونا نحكم السودان » ! وسونا هو الاختصار لاسم الوكالة باللغة الانجليزية SUNA ، فلم تكن الوكالة السودانية مجرد جهاز اعلامي لجمع ونقل الاخبار المحلية والخارجية كما جاء في قانون انشائها ، ولكنها كانت جهاز معلومات ذات اهمية خاصة لأمن الدولة ، فأنشئت شبكة اتصالات للوكالة ربطت الاقاليم السودانية المختلفة من خلال جهاز لاسلكي وجهاز توكس ، وقد استفادت الدولة بهذه الشبكة فكانت بعض السفارات السودانية في الخارج ترسل تقاريرها لوزارة الخارجية عن طريق الوكالة ! وفي عام ١٩٨٥ ادخلت الوكالة نظام الفاكسميلي ، وكان الهدف من استخدامه نقل الاخبار والتقارير الأمنية والسياسية الى رئيس الجمهورية اثناء تواجده بالخارج ، وجرى استخدام الجهاز لأول مرة اثناء زيارة الرئيس السوداني السابق جعفر النميري الى الولايات المتحدة الامريكية في مارس ١٩٨٥م حيث كانت تنقل إليه

أخبار المظاهرات الشعبية التي أطاحت بنظامه في ٥ أبريل ١٩٨٥م^(١٧) !
وقد شهدت السنوات العشرة الأخيرة تطورا في عدد من الوكالات العربية
عن طريق زيادة امكانياتها البشرية والفنية واستخدام تكنولوجيا الاتصال
الحديثة ، وتعتبر وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية ، اكثر الوكالات
العربية نشاطا في المنطقة العربية وعلى المستوى الدولي ، فهي تقدم
خدماتها لأكثر من ٤٠٠ مشترك في الداخل والخارج ، وتبث يوميا حوالي
٢٠ ألف كلمة باللغة العربية ، و ٦٥٠٠ ألف كلمة باللغة الانجليزية ،
وللوكالة مندوبون في معظم العواصم العربية وعدد من العواصم الدولية
الهامة خاصة في بلجراد وبرلين ولندن وباريس وواشنطن .

وهناك وكالة الانباء السعودية التي تبث يوميا حوالي ١٥ ألف كلمة
ويعمل بها ١٠٠ محرر ومراسل في الداخل والخارج ولها مكاتب في عدد
من العواصم العربية والدولية ، وتوجد أيضا وكالة انباء المغرب العربي ،
وهي تبث يوميا حوالي ٢٢ ألف كلمة باللغة العربية ، و ١٨ ألف كلمة
باللغة الفرنسية لسبعين مشتركا في المغرب وستين مشتركا في الخارج ولها
علاقات وثيقة بعدد من وكالات الانباء الافريقية .

ومع التطور الحاصل في نشاط وامكانيات وكالات الانباء العربية ،
فإنها تظل عاجزة عن أداء الدور المأمول منها في مجال الاعلام العربي
الدولي ، فهي ماتزال تعتمد في تغطيتها للعديد من الاحداث الدولية
الهامة ، بل والعديد من الاحداث الاقليمية والمحلية على وكالات الانباء
العالمية ، كذلك فإن وكالات الانباء العربية لا تشكل حتى الآن مصدرا
من مصادر الانباء العربية التي تنشر في وسائل الاعلام الاجنبية ، بسبب
غلبة الطابع الرسمي على ما تبثه الى الخارج من انباء وتقارير ، ولعل اكبر
دليل على ذلك ان احداث حرب الخليج التي تدور على أرض عربية ،
فإن اكثر ما ينشر أو يذاع عنها في وسائل اعلامنا العربية يعتمد على
المصادر الاجنبية ، فهل نطمع والحال كذلك ان تعتمد وسائل الاعلام
الاجنبية على المصادر العربية . . !

الاذاعات العربية الدولية

ان اكثر من نصف الدول العربية تقريبا يقدم خدمات اذاعية موجهة الى مناطق خارج حدوده الوطنية ، واكثر هذه الخدمات يوجه الى مناطق في العالم العربي ، وبعضها يوجه الى الشعوب الاسلامية في الدول غير العربية ، وبعضها الآخر يسعى للوصول الى انحاء متفرقة في العالم ، في أفريقيا وآسيا وأوروبا والامريكيتين .

ولقد بدأت مصر في الاهتمام بالخدمات الاذاعية الموجهة في فترة مبكرة بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م ، وهي تبث اليوم كما سبق وذكرنا ٤٣ خدمة خارجية باثنتين وثلاثين لغة إلى مختلف أنحاء العالم ، وبعده ساعات يصل إلى حوالي ٤٠٠ ساعة أسبوعياً^(١٨) .

وتقدم المملكة العربية السعودية خدمات اذاعية خارجية تصل الآن الى ٣٢ ساعة باثنتي عشرة لغة ، وبعضها يصل الى اوربا والولايات الامريكية^(١٩) ، في حين يوجه اغلبها الى المناطق التي تضم غالبية من المسلمين في أفريقيا وآسيا ، ويغلب على هذه الخدمات طابع الدعوة الاسلامية .

أما الاذاعة السورية فهي تبث ١٢ ساعة يوميا باللغات الانجليزية والفرنسية والعبرية ، وهي موجهة الى اسرائيل والمغرب العربي ومناطق في غرب أوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، ويقدم العراق خدمات اذاعية خارجية تصل الى سبع عشرة ساعة يوميا باللغات الكردية والفارسية والعربية والروسية والانجليزية والفرنسية والالمانية والأوردية ، وهي تخدم مناطق في آسيا وغرب أوروبا ، وتوجه تونس برامج خارجية تصل الى مائة ساعة اسبوعياً باللغة الفرنسية ، وتستهدف الوصول الى مناطق في أفريقيا الفرنسية والبحر المتوسط وأوروبا ، وهي تبث برامجها على

الموجة المتوسطة ، وبيت الأردن برامج موجهة بثلاث لغات اجنبية وهي الانجليزية والاسبانية والعبرية ، وهي تستهدف معظم الدول الأوربية والامريكيتين وشمال أفريقيا ، وبيت السودان برامج اذاعية خارجية لمدة ثلاث ساعات يوميا بالانجليزية والصومالية بالاضافة الى ثمان لغات ولهجات افريقية ، ويقدم الصومال خدمات اذاعية خارجية باللغات الايطالية والسواحلية والامهرية ، وهي موجهة الى المناطق المجاورة له في شرق افريقيا .

والسؤال الآن : ما الدولى وما غير الدولى فى الخدمات الاذاعية العربية الخارجية ؟ ان اكتساب الطابع الدولى لخدمة اذاعية ما ، رهن بمدى انتشارها عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول أو الأمم ، وقوة تأثيرها خارج الحدود الوطنية أو القومية والناعبة من قدرتها على تلبية الاحتياجات الاعلامية للمستمعين ، ثم محدثها بلغة دولية تسمح لها بالانتشار على النطاق العالمى أو التحدث باللغات الوطنية لجمهور المستمعين ، فالاذاعة الدولية هى التى تصل خدمتها الى مختلف انحاء العالم حتى يسمعها معظم شعوب العالم^(٢٠) ، وهناك من يوسع من حدود المفهوم ، بحيث تشمل الاذاعة الدولية كافة الخدمات الاذاعية التى يصل صوتها الى جماعة أو جماعات خارج حدود الدولة التى تقوم بالارسال^(٢١) .

واذا تبيننا المفهوم الضيق للاذاعة الدولية ، فسوف نستبعد كافة الخدمات الاذاعية العربية الخارجية ، أما اذا تبيننا المفهوم الموسع ، فيمكن ادخال بعض الخدمات الاذاعية العربية الخارجية فى مجال الاذاعات الدولية ، وفى كلتا الحالتين ، فإننا نستبعد كل الخدمات الاذاعية العربية التى توجهها الدول العربية الى المنطقة العربية ، فهذه الخدمات رغم انها تتخطى الحدود السياسية للدولة العربية التى تبث الخدمة الاذاعية ، إلا أنها تظل محصورة داخل الحدود القومية للوطن

العربي ، فهي من هذه الناحية اذاعات قومية وليست اذاعات دولية . فإذا ما انتقلنا الى النوع الثاني من الخدمات الاذاعية العربية الخارجية ، وهي الخدمات التي تبث للشعوب الاسلامية في الدول غير العربية ، سواء في أفريقيا أو آسيا ، فيلاحظ ان هذه الخدمات تكاد تنحصر في دولتين وهما مصر والمملكة العربية السعودية ، حيث تبث مصر اذاعة القرآن الكريم والتي يغطي ارساها شمال أفريقيا والشرق الأوسط وغرب أوروبا ، وتذاع على ١٥ موجة متوسطة وقصيرة ، وقد بلغت ساعات ارساها إلى ٢٠ ساعة في اليوم ، أما المملكة العربية السعودية فهي تبث اذاعة نداء الاسلام من مكة المكرمة لمدة أربع ساعات يوميا ، تزداد أيام الجمع وخلال شهر رمضان ، ويصل ارساها الى كافة انحاء العالم ، والمملكة تبث ايضا اذاعة القرآن الكريم من الرياض لمدة ثمانى عشر ساعة يوميا ، ويصل ارساها الى مناطق كثيرة في آسيا وأفريقيا .

ورغم عدم وجود بحوث علمية تقيس حجم الاستماع وكثافته في الدول التي تصل اليها هذه الخدمات الاذاعية ، فهناك العديد من الشواهد التي تؤكد فاعلية هذه الخدمات الاذاعية الدينية ، سواء في ترحيب العديد من الدول الاسلامية بهذه الخدمات ، وحرص بعض هذه الدول على تنظيم اتفاقيات اعلامية ثنائية أو عبر منظمة اتحاد الاذاعات الاسلامية للاستفادة مما تبثه هذه الاذاعات من مواد اسلامية ، كذلك فإن رسائل المستمعين التي ترد من بعض الدول الاسلامية ، ومن الجمعيات والمنظمات الاسلامية في هذه الدول ، والتي تطالب بزيادة ساعات الارسال وتقويته ، دليل آخر على مدى فاعلية هذه الاذاعات العربية الاسلامية ، والدور الهام الذي تقوم به في مواجهة الاذاعات الدولية التبشيرية ، وكذلك أهميتها في مجال الدعوة الاسلامية .

أما بالنسبة للخدمات الاذاعية العربية الموجهة الى الشعوب الاجنبية

غير المسلمة ، خاصة في دول أوروبا وأمريكا الشمالية ، فمن الصعب تأكيد مدى فاعليتها ، فحقيقة الامر ان غالبية الخدمات الاذاعية التي تقدمها بعض الدول العربية باللغات الاجنبية لا تستهدف سوى الوصول الى المستمع الاجنبي الذي يعيش في البلد العربي الذي تبث له هذه الخدمة ، ومن المشكوك فيه تماما وجود مستمعين اجانب للاذاعات العربية الموجهة الى الدول الاجنبية في أوروبا وأمريكا ، خاصة ان هذه الخدمات الاذاعية تعتبر من الناحية التقنية والفكرية متخلفة كثيرا بالمقارنة بالخدمات الاذاعية الوطنية في معظم دول أوروبا وأمريكا الشمالية ، ويكفي لإدراك هذه الحقيقة ان العالم العربي لم يستطع حتى الآن ان يبث اذاعة عربية قومية (باستثناء اذاعة صوت العرب في العهد الناصري) تجمع حولها المستمعين العرب ، في حين نجحت بعض الدول الغربية في إقامة خدمات اذاعية باللغة العربية تمكنت من استقطاب الكثير من المستمعين العرب مثل الخدمة العربية لصوت امريكا ، واذاعة لندن العربية ، واذاعة مونت كارلو العربية ، ثم هل نتصور عقلا ان المستمع الأوربي أو الامريكى يترك اذاعته الوطنية في بريطانيا أو فرنسا أو ألمانيا أو الولايات المتحدة ، ليستمع الى الاذاعات الخارجية الموجهة إليه من السودان أو الصومال أو من عمان أو موريتانيا . . أو من دمشق أو بغداد ! ان المستمع العربي يقبل على الاذاعات الغربية الدولية مدفوعا بحساسه بالنقص الهائل في الخدمات الاذاعية التي تقدمها محطته الوطنية أو القومية ، سواء كان هذاالنقص راجعا الى التخلف التقني أو القيود السياسية ، فهل يعاني المستمع الغربي من عقدة نقص مشابهة حتى يهرب من اذاعته الوطنية الى الاذاعات العربية الموجهة . . !!

التلفزيون العربى الدولى

لم يتأخر العالم العربى كثيرا فى التعرف على الخدمة التليفزيونية ، فبعد أقل من عقد واحد على ظهور التليفزيون فى غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، بدأ الارسال التليفزيونى يعرف طريقه إلى العديد من الاقطار العربية ، وفيما بين منتصف الخمسينيات والسبعينيات ، أصبحت كافة الدول العربية تملك ارسالا تليفزيونيا منتظما ، وقد كانت البداية فى عام ١٩٥٦م عندما ادخلت العراق والجزائر الخدمة التليفزيونية ، وبدأ الارسال التليفزيونى فى لبنان عام ١٩٥٩ ، ثم دخل الى مصر وسوريا فى زمن الوحدة عام ١٩٦٠م . ثم توالى انشاء الخدمات التليفزيونية فى بقية الدول العربية ، فظهر التليفزيون فى الكويت والمغرب عام ١٩٦٢ ، وفى السودان عام ١٩٦٣ ، وفى عدن عام ١٩٦٤ ، ثم فى السعودية عام ١٩٦٥ ، وفى تونس ١٩٦٦ ، وفى الأردن وليبيا عام ١٩٦٨ ، وفى أبوظبى عام ١٩٦٩ ، وفى قطر عام ١٩٧٠ ، وفى البحرين عام ١٩٧٣ ، وفى سلطنة عمان عام ١٩٧٤ ، وفى صنعاء عام ١٩٧٥م .

وبمرور الوقت تزايدت اهمية التليفزيون فى العالم العربى بسبب ارتفاع نسبة الامية وانخفاض الدخل ، بحيث كاد التليفزيون ان يكون مصدرا وحيدا للثقافة والترفيه للملايين من المواطنين العرب ، وارتفعت اعداد أجهزة الاستقبال ، وزادت ساعات الارسال ، وكما هو الشأن فى معظم الدول النامية ، فقد اعتمدت الدول العربية فى ملء ساعات الارسال باستيراد البرامج من الخارج ، بحيث وصلت نسبة البرامج الاجنبية فى محطات التليفزيون العربية ما بين ٤٠ و ٦٠٪ من مجموع ما يقدم من ساعات الارسال ، واكثر الدول العربية بدأت البث التليفزيونى دون ان تملك مقومات الانتاج التليفزيونى المحلى مما اضطرها الى الاعتماد بالكامل

على استيراد البرامج الاجنبية . وقد حاولت بعض الدول العربية ان تقلل من استيراد البرامج عن طريق الانتاج المحلى ، ولكن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح بسبب عدم جودة الانتاج المحلى بالمقارنة بالانتاج الاجنبى ، بالاضافة الى ان المستورد من البرامج التليفزيونية اقل تكلفة واكثر إبهارا وجاذبية لجمهور المشاهدين .

ورغم أن مصر تستورد حوالى ٢٠٪ من برامجها من الخارج ، إلا انها تمكنت بجهد ذاتى مدعم بتراتها التاريخى الطويل فى مجال الابداع الثقافى الفكرى والفنى من تحقيق قدر كبير من التقدم فى الانتاج التليفزيونى مما أتاح لها امكانية مد العديد من الدول العربية بكم معقول من الانتاج التليفزيونى الذى يناسب احتياجات المشاهد العربى ويراعى قيمه وتقاليده العربية والاسلامية .

كذلك أمكن عن طريق التعاون العربى المشترك تحقيق قدر معقول من الانتاج التليفزيونى خاصة من خلال اتحاد الاذاعات العربية وشبكة المغربيون التى تضم تونس والجزائر والمغرب وشبكة الخليجيون التى تضم دول مجلس التعاون الخليجى وهى السعودية والكويت والبحرين وقطر والامارات وعمان ، كذلك فقد تحقق قدر كبير من التطور فى مجال انتاج الاخبار التليفزيونية وتبادلها بين الدول العربية ، وقد ساعد على ذلك انشاء الشبكة الفضائية العربية (عربسات) وانشاء شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية للشرق الأدنى وحوض البحر المتوسط «MEDARBTEL» والذى من شأنه تزويد البلدان العربية بشبكة فعالة لخدمات المواصلات السلكية واللاسلكية بما فيها خدمات الراديو والتليفزيون ، بالاضافة الى انشاء الشبكة العربية لتبادل الاخبار التليفزيونية من خلال مركز التبادل الاخبارى والبرامجى العربى^(٢٢) ، ويقلل من الاستفادة الكاملة من هذه الانجازات الاعلامية فى مجال

الخدمة التليفزيونية العربية التقلبات الدائمة في العلاقات السياسية بين البلدان العربية ، بالإضافة الى القيود التي تضعها بعض الدول العربية على التبادل التليفزيوني العربي .

والجدير بالانتباه ، ان كافة صور التبادل التليفزيوني بين الدول العربية يدخل في النطاق القومي ، ولا يتعداه الى المحيط الدولي ، فالعالم العربي يستورد الانتاج التليفزيوني الاجنبي ، ولا يصدر شيئا ، أى ان العالم العربي مجرد مستهلك للانتاج التليفزيوني الدولي ، وليست له أية مساهمات تذكر في الانتاج التليفزيوني الدولي ، فالانتاج التليفزيوني العربي ، مخصص للاستهلاك المحلي أو القومي ، بل انه لا يكفي لهذا الاستهلاك وتضطر الدول العربية الى استيراد ما يغطي ساعات الارسل التليفزيوني بها ، وبذلك يتضح ان الانتاج التليفزيوني العربي ، يعتبر في الغالب الاعم انتاجا محليا ، والقليل منه ذو طابع قومي ، في حين يفتقد تماما أى بعد دولي . . !

ونخلص من ذلك كله الى القول بأن العالم العربي ، رغم امكانياته البشرية والمادية وموقعه الاستراتيجي مازال يفتقد الى وجود اعلام عربي جماهيري دولي ، وانه في مجال الاعلام الدولي ، مجرد مستهلك يعيش على ما يستورده من الانتاج الاعلامي الاجنبي . !

واذا كان العالم العربي يشترك في هذا الوضع مع كافة دول العالم الثالث التي تعاني من التبعية الاعلامية للدول الصناعية المتقدمة ، فإن العالم العربي بما يملكه من امكانيات ، مؤهل اكثر من غيره من الشعوب والأمم لاختراق حصار التبعية الاعلامية وتحقيق استقلاله الاعلامي ، وذلك في عصر أصبح فيه الاستقلال الاعلامي شرط لتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي !

الموامش

- (١) طرازي . فيليب دي : تاريخ الصحافة العربية - الجزء الأول . (المطبعة الأدبية) بيروت - ١٩١٣ - ص ٥٥ .
- (٢) أبو زيد . فاروق : الصحافة العربية المهاجرة (مكتبة مدبولي) . القاهرة - ١٩٨٥ - ص ٣٢٤ - ٣٣٣ .
- (٣) مجلة الدستور : أسسها في لبنان خليل أبوجودة في عام ١٩٢٧ ، وصدرت اسبوعية سياسية وقد انتقلت ملكيتها الى عدة اشخاص حتى انتهت قبيل الحرب الأهلية الى الصحفي اللبناني علي بلوط ، وقد تحولت المجلة الى تأييد النظام العراقي واضطرت الى الهجرة الى لندن بعد دخول الجيش السوري الى لبنان ، وسيطر عليها فرع حزب البعث العراقي بالسودان ، ويرأس تحريرها خلدون الشمعة .
- (٤) مجلة الحوادث : صدرت في مدينة طرابلس عام ١٩١١ م ، وكان يملكها لطف الله خلاط ، ثم انتقلت ملكيتها في عام ١٩٥٦ م إلى سليم اللوزي وتولى رئاسة تحريرها في الوقت نفسه ، واضطرت للمجلة الى الهجرة الى لندن في عام ١٩٧٨ بعد تعرضها للعديد من الاعتداءات المسلحة ، وفي فبراير ١٩٨٠ اختطف مسلحون مجهولون اللوزي وهو في طريقه الى مطار بيروت مغادرا لبنان بعد ان حضر جنازة أمه ، وبعد تسعة ايام من اختطافه وجد مقتولا وبجته آثار تعذيب شديد ، وبعد مصرع اللوزي بفترة انتقلت ملكية الحوادث الى كرم ملحم كرم ومازالت تصدر من لندن .
- (٥) جريدة الحياة : اصدرها في ٢٨ يناير ١٩٤٦ كامل مروة ، وطلب عليها الاتجاه البعثي ، وكانت تؤيد حزب الاحرار وكميل شمعون اثناء احداث عام ١٩٥٨ ، واثناء الحرب الاهلية في عام ١٩٧٥ تعرضت لعدة اعتداءات وقد هاجرت اخيرا الى لندن ، حيث يرأس تحريرها جهاد الخازن .
- (٦) مجلة الوطن العربي : صدرت في باريس في فبراير ١٩٧٧ وأسسها وليد أبوظهر وهو صحفي ونشيط لبناني كان يشترك مع شقيقه هشام أبوظهر في اصدار جريدة المحرر اليومية في بيروت ، وقد اضطرت وليد الى الهجرة الى فرنسا بعدما تعرض مبنى جريدة المحرر في بيروت الى هجوم مسلح وأضرمت فيه النار فقتل مدير تحريرها واصيب عدد من محرريها وعيالها وموظفيها ، ثم قُلت قوات الردع السورية باحتلال مبنى الجريدة واستولت على كل ما فيها وحطمت جميع التجهيزات والآلات ، وقد أيدت مجلة الوطن العربي النظام العراقي ، وإن بدأت تغير من تأييدها له في العام الأخير .
- (٧) مجلة المستقبل : اسبوعية سياسية ، صدرت في باريس في فبراير ١٩٧٧ م ويرأس تحريرها نبيل الخوري ، وهي تحاول ان تخط طريقا مستقلا بين الانظمة العربية .
- (٨) مجلة كل العرب : صدرت في باريس في أول سبتمبر ١٩٨٢ م ويرأس تحريرها ياسر هواري ، وقد بدأت معتدلة ثم انحازت الى تأييد النظام العراقي .
- (٩) مجلة التضامن : صدرت في لندن عام ١٩٨٢ م ويرأس تحريرها الصحفي اللبناني فؤاد مطر ، وقد بدأت مستقلة ثم انحازت الى النظام العراقي .
- (١٠) مجلة الدولية : يصدرها انطوان نوفل من باريس ، وكان يعمل مديرا للاخبار بانذاعة مونت كارلو العربية ، وهي مجلة معتدلة .
- (١١) جريدة الشرق الجديد : وهي جريدة في حجم مجلة ، وأسسها في لندن الصحفي السوري عبدالوهاب فزال في يناير ١٩٧٣ م ، وهي جريدة انتقادية يغلب عليها طابع الرأي وقد خاضت معارك مع معظم الانظمة العربية بما فيها النظام السوري نفسه ، وإن كانت أخيرا تميل الى تأييد المواقف السورية .
- (١٢) مجلة الفرسان : تصدر من باريس ويشرف على اصدارها الدكتور رفعت الأسد شقيق الرئيس السوري حافظ الأسد ونائب رئيس الجمهورية السابق في سوريا ، وهي تميل الى الدفاع عن السياسات والمواقف العربية السورية .

- (١٣) مجلة ٢٣ يوليو : أصدرها الصحفي المصري محمود السعدني في لندن ، وكانت مجلة معارضة للرئيس المصري السابق أنور السادات ، وقد رأس مجلس إدارتها نور السيد وهو نفسه محمود نور الدين المتهم الأول في قضية تنظيم ثورة مصر المتهم بالإعتداء على عدد من الدبلوماسيين الأمريكيين والاسرائيليين في القاهرة ، وقد شارك في تحرير المجلة عدد من الكتاب والصحفيين المصريين مثل الفريد فرج وفتحي خليل وبكر الشرفاوي وعبدالحكيم قاسم وجمال اسماعيل وعمد محفوظ بالإضافة الى الرسامين صلاح الليثي وجورج البهجوري ، وقد توقفت المجلة بعد ان اكملت اصدار ٤٥ عددا لعدم وجود التمويل الكافي لاستمرار المجلة .
- (١٤) مجلة الدعوة : صدرت مجلة الدعوة عام ١٩٥١م كمجلة « اسبوعية » ويملك امتيازها صالح عشاوي ويرأس تحريرها في الوقت نفسه ، ثم توقفت المجلة في عام ١٩٥٤م ، ثم عادت الى الصدور في عام ١٩٧٦ كمجلة شهرية تعبر عن حركة الاخوان المسلمين ، ثم توقفت بعد احداث ٥ سبتمبر ١٩٨١ ، وهاجرت بعدها الى الخارج وأصبحت تصدر عن المركز الاسلامي بالنمسا ، وتعبر عن التنظيم العالمي للاخوان المسلمين ، وذلك في نهاية عام ١٩٨١م .
- (١٥) للصدوى . مصطفى : النظام الاعلامي الجديد : « عالم الفكر » - الكويت - ١٩٨٥ .
- (١٦) عبداللطيف . صلاح : دور وكالات الانباء الاقليمية وجمع وكالات انباء دول عدم الانحياز في تحقيق التوازن الاخباري العالمي - رسالة دكتوراه غير منشورة (كلية الاعلام - جامعة القاهرة) ١٩٨٨ - ص ١٥٧ .
- (١٧) المصدر السابق - ص ١٥٢ - ١٥٣ .
- (١٨) الحلوان ، ماجي ، العبد ، عاطف : الانظمة الاذاعية في الدول العربية - (دار الفكر العربي) - القاهرة - ١٩٨٧ - ص ٤٧٧ - ٤٨٢ .
- اتحاد الاذاعة والتلفزيون : الاذاعات الموجهة من القاهرة ، القاهرة - ١٩٩١ - ص ١
- (١٩) عبدالحمد . محمد : وسائل الاتصال الاداري (الميكان للطباعة والنشر) الرياض - ١٩٨٨ - ص ١١٦ - ١١٧ .
- (٢٠) الحلوان . ماجي : مدخل الى الاذاعات الموجهة (دار الفكر العربي) - القاهرة - ١٩٨٣ - ص ١٤ - ١٥ .
- (٢١) رشي . جيهان : الاعلام الدولي بالراديو والتلفزيون - (دار الفكر العربي) القاهرة - ١٩٧٩ - ص ٣ - ٤ .
- (٢٢) العبد . عاطف : تبادل الاخبار التلفزيونية العربية . (دار الهان للطباعة) - القاهرة - ١٩٨٩ - ص ٨٩ .